وهو الحقد وسباع البر والغائلة والسعاة ونحوها لان العلم حياة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام. به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهم السعداء ويحرمه الاشقياء الشواهد العقلية اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم وغايته ومالم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا شارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله والفضل مهما كانت زيادته في ما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم وهي نقصان المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعانيه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلته ان اختزته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال لله تعالى وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانها جمادات لا منفعة فيها ولولا ان الله يسر قضاء الحاجات بها لكانت والحصباء بمثابة واحدة واما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انه سلامة من الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المارب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت

الى العلم

الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة ومعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا بد واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل الى ذلك الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد يعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والانتماء بافق الملائكة ومقاربة الملأ الاعلى هذا في الاخرة واما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اعنياء الترك واجلاف العرب يصادفون طبعا عهم صيولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة تتوقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال عجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضايلها بتفاوتها اما فضيلة التعلم والتعليم فنظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق محصورة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا ولم يتخذها وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام احدها اصول الاقوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها

القسم الثاني ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد الاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها

القسم الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحن والمخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امرها لا الارض مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)